

تفسير ابن كثير

وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ^ج إِنَّمَا يَبُلُوْكُمْ اللَّهُ بِهِ ^ج وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ

وقوله : (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) قال عبد الله بن كثير ،
والسدي : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة ، كلما غزلت شيئا نقضته بعد إبرامه . وقال مجاهد
، وقتادة ، وابن زيد : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده . وهذا القول أرجح وأظهر ،
وسواء كان بمكة امرأة تنقض غزلها أم لا . وقوله : (أنكاثا) يحتمل أن يكون اسم مصدر
، نقضت غزلها أنكاثا ، أي : أنقاضا . ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان ، أي : لا
تكونوا أنكاثا ، جمع نكث من ناكث ؛ ولهذا قال بعده : (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم)
أي : خديعة ومكرا ، (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي : يحلفون للناس إذا كانوا
أكثر منكم ليطمثوا إليكم ، فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم . فنهى الله عن ذلك ؛ لينبه
بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهى عن الغدر - والحالة هذه - فلا أن ينهى عنه مع التمكن

والقدرة بطريق الأولى .وقد قدمنا - والله الحمد - في سورة " الأنفال " قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد ، فسار معاوية إليهم في آخر الأجل ، حتى إذا انقضى وهو قريب من بلادهم ، أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون ، فقال له عمرو بن عبسة : الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدرا ، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحلن عقدة حتى ينقضي أمدها " . فرجع معاوية بالجيش - رضي الله عنه - وأرضاه .قال ابن عباس : (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي : أكثر .وقال مجاهد : كانوا يحالفون الحلفاء ، فيجدون أكثر منهم وأعز ، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز ، فنهوا عن ذلك . وقال الضحاك ، وقتادة ، وابن زيد نحوه .وقوله : (إنما يبلوكم الله به) قال سعيد بن جبیر : يعني بالكثرة ، رواه ابن أبي حاتم .وقال ابن جرير : أي : بأمره إياكم بالوفاء والعهد . (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيجازي كل عامل بعمله ، من خير وشر .